تعقبات الشيخ عبد الحميد طهماز في تفسيره على سيد قطب

محمد أحمد الكرمو

جامعة إدلب ـ كلية الشريعة والحقوق

الملخص:

هذا البحث يتحدث عن الحياة الشخصية والعلمية للمفسر السوري الشّيخ عبد الحميد طهماز ـ رحمه الله تعالى ـ وعن تعقباته في تفسيره المسمّى: (التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم) على سيد قطب رحمه الله في تفسيره (في ظلال القرآن)، ولما لهذه التعقبات من أهمية في الوسط العلمي أحببت أن أعرف بالشيخ طهماز وبتعقباته على سيد قطب في هذا البحث، فعرّفت بالشيخ طهماز، ثم بينت منهجه في التعقب، ثم ذكرت تعقباته على سيد قطب.

كلمات مفتاحية: تعقبات ـ طهماز ـ قطب

The Follow-ups of Sheikh Abdul Hamid Tahmaz on Sayyid Qutb in His Interpretation

Muhammad Ahmed Alkarmo

Abstract:

This research talks about the personal and scientific life of the Syrian interpreter Sheikh Abdulhamid Tahmaz, may Allah have mercy on him, and his traces in his interpretation called: (Thematic interpretation of the Great Qur'an Surahs) on Sayyid Qutb, may Allah have mercy on him, in his interpretation In " The Shade of The Quran ", and because of these traces are so significant in the scientific arena I liked to introduce Sheikh Tahmaz and his traces on Sayyid Qutb in this research.I introduced Sheikh Abdulhamid Tahmaz , clarified his methodology in tracing and mentioned his traces on Sayyid Qutb

Key words : Tahmaz , Qutb , Traces

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين وصحابته الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد:

ظهر التّعقّب في التّفسير منذ عهد الصحابة والتابعين، وبعد ذلك صار منهجاً مسلوكاً في كثير من كتب التّفسير، فهذا الإمام الكبير ابن جرير الطبري في تفسيره: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) قد تعقّب من سبقه من المفسّرين في مواضع كثيرة في تفسيره، كما تعقّب عليه من تبعه من المفسّرين كابن كثير، ومن ثمّ أصبح هذا النوع من البحث مرتعاً واسعاً للدارسين والباحثين، ومن المفسرين الذين اهتموا بجانب التّعقّبات الشيخ طهماز، فقد نقد آراء سيد قطب بأسلوب علميّ، فجاء نقده لأقواله وآراءه غاية من الأهمية، وهذا يدل على عظيم علمه، ولما لهذا النوع من أهمية في الوسط العلمي، أحببت أن يكون بحثي في تعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب في تفسيره، سائلاً الله تبارك وتعالى التوفيق والسّداد، والإخلاص في القول والعمل، والحمد لله ربّ العالمين.

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية البحث في الأمور الآتية:

1 ـ التعريف بمنهج الشيخ طهماز في التعقب والاستدلال.

2 ـ التعريف بتعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب.

مشكلة الدراسة:

وتكمن مشكلة البحث في التعريف بشخصية الشيخ طهماز العلميّة، وبمنهجه المتميّز في التعقب، وفي الإشارة إلى تعقباته على سيد قطب التي ذكرها في تفسيره.

الدراسات السابقة: تمثلت الدراسات السابقة في بيان منهج الشيخ عبد الحميد طهماز في سورة البقرة للدكتور عبد الله إبراهيم الهيتي حفظه الله تعالى، وقد نشر هذا البحث في مجلة جامعة الأنبار في العدد 13 سنة2013م.

الجديد في الدراسة:

وأما الجديد الذي يقدمه البحث فيتلخص بالآتي:

1 ـ التعريف بالمفسر طهماز رحمه الله تعالى.

2 ـ بيان منهج الشيخ في التعقب والاستدلال.

3 ـ التعريف بتعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحث في كتابة البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وأجرى ما يأتي:

1. التعريف بشخصية المفسر.
2. توضيح منهج المفسّر في التعقب والاستدلال.
3. التعريف بتعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب.
4. توثيق الآيات القرآنيّة، وتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأساسيّة.

خطة الدراسة:

اشتملت الخطة على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالشّيخ طهماز

المبحث الثاني: منهج الشيخ طهماز في التعقب

المبحث الثالث: تعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بالشّيخ طهماز

المطلب الأول: حياة الشيخ

ولد الشّيخ عبد الحميد بن محمود بن عبد القادر طهماز السوري.[1] في مدينة حماة السورية، عام 1356 هـ، 1937 م. ونشأ وتعلم في مدارسها.

المطلب الثاني: السيرة العلميّة للشيخ

الفرع الأول: طلبه للعلم

التحق الشّيخ عبد الحميد بكلية الشّريعة في جامعة دمشق، وتعلم فيها العلوم الشرعية، وتخرج فيها عام 1959م، وعمل مدرساً لمادة التربية الإسلامية في ثانويات حماة وخطيباً في مسجد السلطان. [2]

الفرع الثاني: شيوخه

درس الشّيخ المفسّر طهماز رحمه الله تعالى العلوم الشرعية على ثلة من علماء سورية، فشيخه الأول العلّامة المجاهد الشّيخ محمّد الحامد رحمه الله تعالى، وأما شيوخه في كلية الشّريعة في جامعة دمشق، فهم:

1 ـ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى

2 ـ الأستاذ محمّد المبارك

3 ـ العلّامة مصطفى الزرقا

4 ـ الدكتور محمّد معروف الدواليبي

5 ـ الشّيخ محمّد المنتصر بالله الكتّاني

6 ـ الدكتور فتحي الدريني

7 ـ الدكتور مصطفى الخن[3]

الفرع الثالث: آثاره العلميّة

---

(1) . ينظر: علي فياض، منتدى العلماء ـ **حوار مع فضيلة الشيخ عبد الحميد طهماز** ـ 2009 م، تاريخ الاطلاع: 2/1/ 2023، الرابط: https://www.msf-online.com/

(2) . ينظر: المرجع السابق، الرابط: https://www.msf-online.com/

(3) . ينظر: المرجع السابق، الرابط: https://www.msf-online.com/

اهتم الشّيخ بالتأليف، فترك بعده إرثاً علمياً عظيماً، وهذه بعض مصنفاته:

1. التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم في ثمانية مجلدات.
2. الفقه الحنفي في ثوبه الجديد.
3. سيرة النّبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم والسّنة الصّحيحة.
4. السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام.
5. عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الإمام البحر عالم عصره.
6. العلامّة المجاهد محمّد الحامد رحمه الله تعالى.[1]

الفرع الرابع: وفاته

توفي الشيخ في يوم الجمعة سنة: 2010م، وذلك في مدينة الرياض عن عمر يناهز الثلاثة والسبعين عاماً، فرحمةُ الله تعالى عليه. [2]

المبحث الثاني: منهج الشيخ طهماز في التعقب والاستدلال

قبل الحديث عن تعقبات الشّيخ طهماز على سيد قطب رحمهما الله تعالى لا بد من تعريف التعقيب لغةً واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف التعقيب

الفرع الأول: التعقيب لغةً

التعقيب في اللغة العربية له معاني عدّة، ومن أبرزها:

1 ـ التتبعُ واقتفاء الأثر: قال ابن فارس: "تعقبت ما صنع فلان، أي تتبعت أثره." [3]

---

(1) . ينظر: **طهماز**، (عبد الحميد طهماز، ت: 2010م)، **التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثانية– 2014م ، (617/8).

(2) . ينظر: علي فياض، منتدى العلماء ـ **حوار مع فضيلة الشيخ عبد الحميد طهماز** ـ 2009 م، تاريخ الاطلاع: 2/1/ 2023، الرابط:
https://www.msf-online.com/

(3) . **ابن فارس** (أحمد بن فارس القزويني الرازي، ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، (4/ 79).

2 ـ التدبر والنّظر: قال ابن منظور في لسان العرب: "وتعقب الخبر: تتبعه، ويقال: تعقبتُ الأمر إذا تدبرته. والتّعقّب: التّدبر والنظر ثانية."[1]

الفرع الثاني: التعقيب اصطلاحاً

التعقيب عند أهل التّفسير له تعاريف عدّة، من أبرزها:

1 ـ أن يتعقب مفسّر متأخرٌ مفسّراً متقدماً في بعض آرائه المتعلقة بالتّفسير، ويتبع ذلك التّعقّب غالباً بالتصحيح والترجيح بما يراه المتأخر، وقد يردّ المتعقِّب على المتعقَّب عليه قوله وقد لا يرد. [2]

2 ـ أن يتبع المفسر قولاً يذكره في بيان معنى في القرآن الكريم بقول آخر، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يبيّن لُبسه. [3]

ومما سبق يستنتج أنّ التعقب: هو التتبع لكلام الغير، وتفحصه، والنظر فيه بتدبر لنقضه، وردّه، وإبطاله.

المطلب الثاني: منهج الشيخ طهماز في التعقيب والاستدلال

اهتم الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى بجانب التّعقّبات على من سبقه من المفسّرين، وسلك في ذلك منهجاً متميّزاً، فكان يوجّه نقده لإظهار القول الصحيح، وردّ القول الخاطئ، فنقد آراء المفسّرين بأسلوب علميّ، وجاء نقده لأقوال الآخرين وآرائهم من المفسّرين، وليس لذواتهم وأشخاصهم، وهذا يدل على عظيم علمه، وحُسن خُلقه.

ويتلخص منهج الشيخ طهماز في التّعقّب والاستدلال بالأمور الآتية:

---

(1) . **ابن منظور** (محمّد بن مكرم بن علي، ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ. (1/ 619).

(2) . ينظر: **السيد** (أحمد بن عمر)، **تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسّرين**، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التّفسير، 2010م، (96).

(3) . ينظر: **المرجع السابق**، (96).

1. اعتمد الشيخ طهماز رحمه الله تعالى في تعقّباته على الدليل الصحيح من كتاب الله تعالى أو سنّة نبيه الكريم محمّد صلى الله عليه وسلم، فكان يردّ الأقوال الشّاذّة التي لا مستند لها من القرآن الكريم أو السّنة النّبوية الشّريفة.
2. اعتمد الشيخ طهماز رحمه الله في منهجه في التّعقّب على سياق الآيات، فكان يقبل الأقوال والآراء التي يقبلها سياق الآيات، ويرد الأقوال التي يخالفها سياق الآيات.
3. سلك الشيخ طهماز في منهجه في التّعقّب طريقة الجمع بين أقوال المفسّرين، وحمل الآيات على العموم.

المبحث الثالث: تعقبات الشّيخ طهماز على سيد قطب

المطلب الأول:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].

مسألة: هل المسخ الوارد في الآية مسخٌ حقيقي أو مجازي؟

أولاً: القول المعقّب عليه

قال سيد قطب[1] رحمه الله تعالى: " وليس من الضّروري أن يستحيلوا قردة بأجسامهم، فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم، وانطباعاتُ الشّعور والتّفكير تعكس على الوجوه والملامح سماتٍ تؤثر في السّحنة، وتلقي ظلّها العميق." [2]

ثانياً: التّعقيب

---

(1) . شهيد الإسلام سيد قطب: مفكر إسلامي كبير، ولد في قرية (موشا) في أسيوط المصرية، درس وتخرج في كلية دار العلوم (القاهرة)، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، له مؤلفات كثيرة، أشهرها: (التصوير الفني في القرآن) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، أعدمه جمال عبد الناصر سنة: 1967م. ينظر: الزركلي، الأعلام، (3/ 147).

(2) . ينظر: قطب (سيد قطب، ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ، (1/ 77).

قال الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى معقّباً على هذا القول: "لقد مسخهم الله مسخاً حقيقيّاً لا معنويّاً كما زعم بعضهم."[1]

ثالثاً: الدّراسة

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى: أنّ الله تعالى عاقب اليهود الذين عصوا أمره وخالفوا عهده، فاصطادوا الحيتان يوم السّبت، فمسخهم مسخاً حقيقيّاً، فجعل قسماً منهم قردة والقسم الآخر خنازير، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنه[2] وقتادة[3] وغيرهما من المفسّرين رحمهم الله تعالى، وقد اختاره ابن كثير[4] رحمه الله تعالى، وهو قول جمهور العلماء والمفسّرين[5]، واستُدل لهذا القول بما يأتي:

1. ظاهر القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65]، فظاهر القرآن الكريم يدل على أنّهم مُسخوا مسخاً حقيقياً لا معنوياً، فلو كان معنوياً كما زعم بعض المفسّرين لما كان فيه عبرةً لمعتبر وموعظةً لمتعظٍ، ولما قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66].[6]

---

(1) . طهماز، التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (121/1).

(2) . ينظر: ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرّازي، ت: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة – 1419 هـ. رقم: 673، (1/ 133).

(3) . ينظر: الطّبري (محمد بن جرير، ت: 310هـ)، **البيان في تأويل القرآن** تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000 م، (171/2).

(4) . ينظر: ابن كثير (إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ، (288/1).

(5) . ابن عاشور (محمد الطاهر التونسي، ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس1984 هـ، (1/ 544).

(6) . ينظر: طهماز، التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (122/1).

2. النّظائر القرآنية: كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]. فالذين لعنهم الله هم اليهود، فقد أبعدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات، ومسخ بعضهم قردةً وهم أصحاب السّبت، ومسخ بعضهم خنازير.[1]

3. الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رجلاً قال: يا رسول الله القردة والخنازير، هي ممّا مُسخ؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْماً، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْماً، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلاً، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ».[2] أي قبل مسخ بني إسرائيل.[3]

4. القاعدة المعتمدة عند المفسّرين: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة. [4]

القول الثاني: ما ذهب إليه سيد قطب رحمه الله تعالى من القول بأنّ المسخ الذي نزل باليهود عقوبةً لهم على التحايل على أوامر الله تبارك وتعالى إنّما كان مسخاً للقلوب، وليس مسخاً للذوات، أو بعبارة أخرى كان مسخاً معنوياً لا مسخاً حقيقياً، وهذا القول مروي

---

(1) . ينظر: البيضاوي، (ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت: 685هـ)، تفسير البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – 1418 هـ، (2/ 134).

(2) . مسلم (مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، رقم الحديث: 2663، (4/ 2051).

(3) . ينظر: النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392 هـ، (16/ 214).

(4) . الحربي، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (387).

عن مجاهد رحمه الله تعالى أيضاً، إذ قال: في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ "لم يُمسخوا قردة ولكنّه كقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ [الجمعة: 5]:" [1]

التحقيق في المسألة:

وبعد النّظر والتدقيق في القولين السابقين يتبين أنّ القول الصّواب في المسألة هو القول الأول، وأنّ المقصود بالمسخ في الآية المسخ الحقيقي لا المسخ المجازي، وذلك لأنّ ظواهر النّصوص من القرآن الكريم والسّنة المطهرة تدل على ذلك، ومن المقرّر عند المفسّرين أنّه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة، ومما يؤيد بُعد القول الثاني عن الصّواب أنّه لا دليل عليه من كتاب أوسنّة، ولم يذهب إليه أحد من المفسّرين من السّلف أو الخلف غير ما روي عن مجاهد رحمه الله تعالى، وما ورد عن سيد قطب رحمه الله تعالى، وبهذا يكون ما جاء عنهما تفسيراً بعيداً يبعده سياق الآيات.

المطلب الثاني:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

مسألة: هل الغاية من نزول الآية الكريمة تثبيت المسلمين عند موت الرّسول الأعظم أو فطمهم عن تعلقهم بشخصه الكريم صلى الله عليه وسلم؟

أولاً: القول المعقّب عليه

قال سيد قطب رحمه الله عندما تحدث عن وفاة النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "وكأنّما أراد الله بهذه الحادثة، وبهذه الآية أن يفطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخص النّبيّ، وهو حيٌّ بينهم وأنْ يصلَهم بالنبع. " [2]

ثانياً: التّعقيب

---

(1) . مجاهد، تفسير مجاهد، (ص: 205).

(2) . سيد قطب، في ظلال القرآن، (1/ 486).

قال طهماز رحمه الله تعالى معقّباً على سيد قطب رحمه الله: " لكنّه أخطأ الفهم وابتعد عن الصّواب بعداً كبيراً. "[1]

ثالثاً: الدّراسة

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى أنّ الغاية والهدف من نزول الآية هو تثبيت المؤمنين حالةَ سماعهم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا فطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخصه، وذلك أنّه في غزوة أُحدٍ شاعَ بين المسلمين مقتلُ رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم، فظهر ضعف من بعض الصّحابة، فأنكر الله تعالى عليهم، وطلب منهم الثبات على الدّين والمبدأ حتى لو مات الرّسول أو قُتل، فالرّسول بشر كسائر الأنبياء، له مهمة تنتهي بانتهاء أجله[3]، وما ذلك إلا رحمة من الله بالصّحابة وسبباً لتثبيتهم عندما ينزل بهم الحادث الجلل المتمثل بموت الرّسول الأعظم، وهذا فهم علماء المسلمين للآية،[4] وقد استدل الشّيخ طهماز رحمه الله لهذا الرّأي بما يأتي:

1. صريح القرآن الكريم: فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين في كثير من آياته بالتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم حُبّاً له وطاعةً لأوامره، واقتداءً بسنته، وإكثاراً لذكره، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].
2. صريح السّنة: فقد عدّت السّنة النّبوية الشّريفة محبةَ الرّسول صلى الله عليه وسلم عبادةً يتقرب بها المسلم إلى ربّه، وعلامة على الإيمان، إذ روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(1) . طهماز، التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (582/1).

(2) . ينظر: الطبري، تفسير الطّبري، (7/ 253).

(3) . ينظر: الزحيلي، التّفسير المنير، (4/ 110).

(4) . ينظر: القرطبي، (محمّد بن أحمد شمس الدّين، ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، (4/ 222).

وسلم: «فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».[1]

3. القاعدّة التّرجيحية المقرّرة عند علماء التّفسير: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدم ذلك."[2]

القول الثاني: يرى سيد قطب رحمه الله تعالى: أنّ الله تعالى أراد أن يربي الجماعة المسلمة على التعلق بالإسلام لا بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهذه الحادثة وبهذه الآية يفطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخص النّبيّ صلى الله عليه وسلم، واستدل لهذا الرّأي بما يأتي:

1. إنّ الدّعوة أقدم من الداعية، والمطلوب من المسلم أن يفرّق بين شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سيدركه الموت وبين العقيدة الإسلامية الباقية بعده والموصولة بالله الذي لا يموت. [3]
2. إنّ نصوص القرآن الكريم تطلب من المسلمين الارتباط المباشر بالإسلام ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103]، وتطلب منهم أن يجعلوا عهدهم مع الله مباشرة بلا وسيط. [4]

التحقيق في المسألة:

وبعد التأمل الدقيق في القولين السّابقين وأدلة كل منهما يتضح أنّ لكل قول حظه من النظر، ولا تعارض بينهما، ويمكن الجمع بين القولين، وذلك أنّ أغلبية المفسرين ذهبوا إلى أنّ الآية وردت في سياق تثبيت المؤمنين، ووجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم، بينما يرى سيد قطب أن الآية تدعو الناس إلى التعلق بالله تعالى وحده في وقت الأزمات، ومن

(1) . البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرّسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، رقم 14.

(2) . الحربي: قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (312).

(3) . سيد قطب، في ظلال القرآن، (1/ 485).

(4) . المرجع السابق، (1/ 485).

أصعب الأزمات وفاة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه. وهذا ما حدث تماماً، فقد وقف أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: " ألا من كان يعبد محمّداً صلى الله عليه وسلم، فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حيّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. (1)

المطلب الثالث:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: 31].

مسألة: هل يحملُ الكفار أوزارهم على ظهورهم يوم القيامة حقيقةً أو مجازاً؟

أولاً: القول المعقّب عليه

قال سيد قطب رحمه الله واصفاً حال الكفار يوم القيامة: "ثم مشهدهم كالدّواب الموقرة بالأحمال ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ بل الدّواب أحسن حالاً، فهي تحمل أوزاراً من الأثقال، ولكن هؤلاء يحملون أوزاراً من الآثام! والدّواب تحط عنها أوزارها فتذهب لتستريح، وهؤلاء يذهبون بأوزارهم إلى الجحيم، مشيعين بالتأثيم." (2)

ثانياً: التّعقيب

قال الشّيخ طهماز رحمه الله معقّباً: "والأولى أن نحمل الحَمْلَ على الحقيقة."(3)

ثالثاً: الدّراسة:

---

(1) . البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النّبيّ، باب قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، رقم: 3668.

(2) . سيد قطب: في ظلال القرآن، (2/ 1072).

(3) . طهماز: التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (413/2).

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى: أنّ الأولى أن تُحمل الآية على الحقيقة لا على المجاز، فالله تبارك وتعالى بقدرته يجسّد الأوزار يوم القيامة ليحملها أصحابها على ظهورهم، وذلك زيادة في معاناتهم وعذابهم. وهذا الرّأي اختاره الألوسي[1] واستُدل لهذا الرّأي بما يأتي:

1. ظاهر الآية الكريمة: قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾، فظاهر الآية يدل على أنّ الأوزار والذنوب ستتحول إلى أجسام مادّية، وذلك حتى تكون الفضيحة علنية، فمن سرق غنمةً يُبعث يوم القيامة وهو يحملها على ظهره.[2]
2. القاعدّة التّفسيرية: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل. [3]
3. الأحاديث الصحيحة الدّالة على قدرة الله تعالى على تجسيد الأعراض والمعاني يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ،[4] أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ

(1) . ينظر: الألوسي (محمود بن عبد الله، ت: 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 ـ 1415هـ، تفسير الألوسي، (4/ 126).

(2) . الشعراوي: تفسير الشعراوي، (6/ 3586).

(3) . الحربي: قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (387).

(4) . الغمامة والغياية: هي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. ينظر: النووي، شرح النووي على مسلم، (6/ 90).

صَوَافَّ،[1] تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[2].

4. القاعدّة التّفسيرية: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة. [3]

القول الثاني: يرى سيد قطب رحمه الله أنّ المراد تحقير الكفار وتشبيههم بالدّواب التي تحمل أثقال الإنسان في الدّنيا. [4] واستدل بأن حمل الآية على الحقيقة هنا متعذر وإذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز، ولذلك تفسيرها بالمجاز أولى.

التحقيق في المسألة:

وبعد التدقيق في الأقوال السّابقة يتضح أنّ القول الأول أولى بالصّواب من غيره، لأنّ ظاهر القرآن الكريم يؤيده، وتفسير النّص بالحقيقة أولى، وقد قال كثير من أهل السّنة والجماعة بتجسيم الأعمال في الدار الآخرة[5]، و قد أجمع العلماء على أنّه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة.[6]

المطلب الرابع:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].

مسألة: ما حقيقة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾؟

---

(1) . الفِرقان: قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق أي جماعة. ينظر: النووي، شرح النووي على مسلم، (6/ 91).

(2) . مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم: (804).

(3) . الحربي: قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (137).

(4) . سيد قطب، في ظلال القرآن، (2/ 1072).

(5) . ينظر: الآلوسي، السبع المثاني، (4/ 126).

(6) . الرازي، (محمّد بن عمر، الملقب بفخر الدّين الرازي، ت: 606هـ). مفاتيح الغيب أو التّفسير الكبير، (30/ 613).

أولاً: القول المعقّب عليه

قال سيد قطب رحمه الله تعالى في ظلال هذه الآية: "ولا نملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني...". [1]

ثانياً: التّعقيب

قال الشّيخ طهماز رحمه الله معقّباً: "وقد أخطأ سيد قطب رحمه الله تعالى خطأً جسيماً عندما استعمل ألفاظاً موهمةً لمعنى فاسد يصادم العقيدة الإسلامية".[2]

ثالثاً: الدّراسة

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله: أنّ حقيقة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ هو من باب إضافة خلق إلى خالق، فقد أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وبناءً على ذلك، فالروح خلقٌ من خلق الله تعالى أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، كقوله أرضي وسمائي وبيتي وناقة الله وشهر الله. وهذا اختيار القرطبي وغيره من المفسّرين.[3] واستُدل لهذا القول بما يأتي:

1- النّظائر القرآنية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171]، و معنى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: خَلْقٌ من خلقه.[4]وأضيفت الرّوح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: 73][الأعراف: 73]. وفي قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: 26]، وهذا كلّه من قبيل واحد ونمط واحد. [5]

(1) . سيد قطب: في ظلال القرآن، (4/ 2140).

(2) . طهماز: التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (373/4).

(3) . القرطبي: تفسير القرطبي، (10/ 24).

(4) . ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، (2/ 477).

(5) . ينظر: المرجع السابق، (2/ 479).

2- القاعدّة التّفسيرية: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك. (1)

القول الثاني: قال سيد قطب رحمه الله في ظلال الآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ "ولا نملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني، فالجدل على هذا النحو عبث عقلي، بل عبث بالعقل ذاته، وخروج به عن الدائرة التي يملك فيها أسباب التصور والإدراك والحكم، وكل ما ثار من الجدل حول هذا الموضوع، وكل ما يثور إنْ هو إلا جهل بطبيعة العقل البشري وخصائصه وحدوده، وإقحامٌ له في غير ميدانه، ليقيس عمل الخالق إلى مدركات الإنسان، وهو سفه في إنفاق الطاقة العقلية، وخطأ في المنهج من الأساس. إنّه يقول: كيف يتلبس الخالد بالفاني، وكيف يتلبس الأزلي بالحادث؟ ثم ينكر أو يثبت ويعلل! بينما العقل الإنساني ليس مدعواً أصلاً للفصل في الموضوع. لأنّ الله يقول: إنّ هذا قد كان. ولا يقول: كيف كان، فالأمر إذن ثابت ولا يملك العقل البشري أن ينفيه. وكذلك هو لا يملك أن يثبته بتفسير من عنده- غير التسليم بالنّص- لأنه لا يملك وسائل الحكم، فهو حادث، والحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في ذاته، ولا على الأزلي في خلقه للحادث. وتسليم العقل ابتداء بهذه البديهية أو القضية وهي أن الحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في أي صورة من صوره. يكفي ليكف العقل عن إنفاق طاقته سفها في غير مجاله المأمون". (2)

التحقيق في المسألة: وبعد النّظر في القولين السابقين يتضح أنّه ليس ثمة خلاف حقيقي في المسألة، فطهماز رحمه الله تعالى لا يجيز للمفسرين عند تفسير الآية السابقة استخدام أي لفظ يصادم العقيدة الإسلامية، ومن هذا الباب اعترض على اللفظ الذي استخدمه سيد قطب في تفسيره للآية، فهو اعتراض على اللفظ المستخدم فقط، ولا يفهم منه غير ذلك، وأما سيد قطب رحمه الله تعالى، فقد فسّر الآية بناء على مذهبه العقدي القائم على التفويض والتسليم في فهم النصوص، فقال في تفسير الآية: "ولا نملك أن نسأل كيف

(1) . الحربي: قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (172).

(2) . سيد قطب: في ظلال القرآن، (4/ 2140).

تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني" وهو بذلك يقرر عقيدة السلف (التفويض) في كيفية النفخ. وبهذا يتقرر أنّ كلا القولين له حظ من النظر، ولا تعارض حقيقي بينهما.

المطلب الخامس:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ[1] بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ[2] فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 22 – 26].

مسألة: هل رُزق هدهدُ سليمان عليه السّلام إدراكاً خاصّاً؟ أو أنّ كل الطيور لها مثل هذا الإدراك؟

أولاً: القول المعقّب عليه

ذهب سيد قطب رحمه الله تعالى إلى أنّ هدهد سليمان عليه السّلام قد وُهب إدراكاً خاصّاً. [3]

ثانياً: التّعقيب

---

(1) . أحاط: أي علم. ينظر: الفيروزآبادي، (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (2/ 126).

(2) . الخبء: بمعنى المخبوء، فخبء السّماء الأمطار والرياح، وخبء الأرض الأشجار والنبات. ينظر: ابن فورك، (محمد بن الحسن بن فورك ت: 406هـ)، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1430 – 2009 م (1/ 290).

(3) . سيد قطب: في ظلال القرآن، (5/ 2636).

يقول الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى معقّباً: "لكنّي لا أرى مانعاً أن يكون إدراك هدهد سليمان عليه السّلام عامّاً عند جميع الهداهد والطّيور." [1]

ثالثاً: الدّراسة:

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله أنّ إدراك وفهم وإيمان هدهد سليمان عليه السّلام بالله تعالى ليس خاصّاً به، بل هو عامّ لكل الطيور والهداهد، ولا دليل على خصوصية هدهد سليمان عليه السّلام بهذه المعرفة، وقال بهذا الرّأي الإستانبولي،[2] ويُستدل لهذا الرّأي بما يأتي:

1- ظاهر القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18]:فأثبت القرآن الكريم للنملة التي خاطبت قومها الرؤية والنطق والحكم. وهذا العلم الذي وُهبت وهذه المعرفة التي أعطيت وذاك الإدراك الذي رزقت ليس خاصّاً بها، بل هو عامّ يشترك فيه جميع أفراد نوعها وجنسها. [3] وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44] لقد أثبتت هذه الآية الكريمة أنّ جميع المخلوقات تسبح بحمد الله تعالى، ولكنّ الإنسان لا يسمع تسبيحها، وذلك بسبب اختلاف اللغات وتعسّر الفهم والإدراك. وقال تعالى أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41] فأثبتت الآية الكريمة للطيور التسبيح والصّلاة، والصلاة بمعنى الدعاء، ولا يبعد أن يُلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه، كما ألهمها كثيراً من العلوم التي يعجز عنها الكثير من

---

(1) . طهماز: التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (252/6).

(2) . ينظر: الإستانبولي (إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي ت: 1127هـ)، روح البيان، دار الفكر – بيروت، (6/ 340).

(3) . ينظر: تفسير الشعراوي، (17/ 10759).

العقلاء.[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] فقد أثبتت الآية الكريمة للسماوات والأرض والجبال إدراكاً، وبهذا الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأدركت عظم الأمانة، فخافت ورفضت حملها.[2]

2- الأحاديث الشّريفة: فقد جاء في سنن ابن ماجه،[3] بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنْ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةِ وَالنَّحْلِة وَالْهُدْهُدِ وَالصُّرَدِ». [4] فكان الهدهد داعياً إلى الخير وعبادة الله وحده، ولذلك جاء النّهي عن قتله. [5]وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».[6]وجاء في سنن الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: «كُنْتُ مَعَ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ

(1) . ينظر: النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد ت: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشّيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1416 هـ، (5/ 202).

(2) . ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (6/ 258).

(3) . ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ – 2009 م، باب ما ينهى عن قتله، رقم الحديث: 3224.

(4) . الصُرَد: كرُطَب، وهو طائر فوق العصفور. ينظر: الدميري (محمد بن موسى ت: 808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ، (2/ 83).

(5) . ابن كثير، تفسير ابن كثير، (6/ 188).

(6) . مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم الحديث: (2277).

فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: السّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».[1]

3- القاعدّة المعتمدة عند المفسّرين: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على غيره".[2]

4- ما هو مقرر عند أهل التّفسير: "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل"[3].

ويستنتج مما سبق أنّ إدراك هدهد سليمان عليه السّلام ليس خاصّاً به، بل يجوز أن تشاركه فيه جميع الهداهد والطيور، فظاهر القرآن الكريم والسّنة النّبوية أثبتا الفهم والإدراك لكثير من الحيوانات والجمادات والأشجار.

القول الثاني: يرى سيد قطب رحمه الله تعالى أنّ هدهد سليمان عليه السّلام قد وُهب إدراكاً خاصّاً. فإنّ نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاصّ في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء الأتقياء من النّاس، ويستدل لهذا الرّأي بما يلي:

1. القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17]، ففي قصة هدهد سليمان عليه السّلام معجزة له عليه السّلام، فقد أدرك الهدهد ما يدركه أعقلُ النّاس وأذكاهم وأتقاهم، لقد وهبه الله إدراكاً خاصّاً أعلى من إدراك نظائره في أمّة الطير.[4]
2. سياق الآية الكريمة: قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20]، فقول سليمان عليه الصلاة والسّلام: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ يدل على هدهد خاصّ بشخصه وذاته، وقد يكون هو الذي سُخّر لسليمان عليه

(1) . الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب، رقم الحديث: (3626).
(2) . ينظر: الحربي، قواعد التّرجيح، (312).
(3) . المرجع السابق، (387).
(4) . ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 2635).

السّلام من أمّة الهداهد، أو يكون صاحب النّوبة في ذلك الموكب من المجموعة المحدودة العدد من جنسه. (1)

التحقيق في المسألة:

وبعد النّظر في القولين يتضح أنّ أولى القولين بالصّواب القول الأول، وأنّ إدراك هدهد سليمان عليه السّلام وفهمه وإيمانه ليس خاصّاً به، بل هو عامّ لكل الطيور والهداهد، فظاهر القرآن الكريم يثبت لجميعها ذلك، كما أنّه لا دليل على خصوصية هدهد سليمان عليه السّلام بهذه المعرفة، فقد نَقَلَ القرآنُ الكريم ما قالته النّملة لقومها، وأثبت أيضاً معرفتها لسليمان عليه السّلام، وبذلك يتضح أنّ إدراك هدهد سليمان عليه السلام ومعرفته ليس خاصّاً به، بل هو عامّ لجميع الطيور والحيوانات، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

المطلب السادس:

تعقّبه على سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

مسألة: هل رؤيا إبراهيم عليه السّلام بذبح ولده إسماعيل عليه السّلام وحيٌ أو أنها مجرد إشارة؟

أولاً: القول المعقّب عليه

قال سيد قطب رحمه الله في الظّلال: "نعم إنّها إشارة. مجرد إشارة. وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً، ولكنّها إشارة من ربّه." (2)

ثانياً: التّعقيب

(1) . ينظر: المرجع السابق، (5/ 2636).

(2) . سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 2994).

قال الشّيخ طهماز رحمه الله معقّباً على قول سيد قطب: "فهذا التكليف وحي، ولا يصح أن نقول عنه: إنّه إشارة ومجرد إشارة فقط." [1]

الدّراسة:

القول الأول: يرى الشّيخ طهماز رحمه الله تعالى: أنّ رؤيا الأنبياء وحي، كالوحي في اليقظة، فرؤيا إبراهيم عليه السّلام بذبح ولده إسماعيل عيه السّلام تكليفٌ من الله تعالى بذبحه، وهذا القول مروي عن قتادة وابن عباس رضي الله عنه وغيرهم[2]، واختاره جمهور المفسّرين، كالطّبري والقرطبي والألوسي وغيرهم [3]، ويُستدل لهذا الرّأي بما يأتي:

1. صريح القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51]، فهذه الآيات تبيّن طرق تبليغ المعرفة الإلهية للرسل عليهم الصلاة والسلام.
2. ـ السياق في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]. فسياق الآية يدل على أنّ إسماعيل أدرك أنّ هذه الرؤيا وحي من الله تعالى، فحث والده على تنفيذها. [4]

3 ـ الحديث الصحيح: فقد جاء في صحيح البخاري عن عبيد بن عمير أنّه قال: " رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ "[5] والغاية من تلاوة الآية الاستدلال على أنّ رؤيا الأنبياء وحي، وإلّا لما جاز لإبراهيم عليه السّلام الإقدام على ذبح

---

(1) . طهماز، التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (160/7).

(2) . ينظر: الطبري، تفسير الطّبري، (21/ 75).

(3) . ينظر: الطبري، تفسير الطّبري، (21/ 75). القرطبي، تفسير القرطبي، (15/ 102). الألوسي، تفسير الآلوسي، (12/ 123).

(4) . الجصاص، أحكام القرآن، (5/ 251).

(5) . البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم الحديث: (138).

ولده بناء على الرؤيا. وقد اعتبر العلماء الرؤيا الصادقة أول مرتبة من مراتب أو كيفيات الوحي،[1] وذلك كما ورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ."[2]

4 ـ القاعدّة الترجيحية: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدم ذلك".[3]

القول الثاني: يرى سيد قطب رحمه الله تعالى أنّ رؤيا إبراهيم عليه السّلام بذبح ولده إسماعيل مجرد إشارة، وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً. واستدلّ لهذا الرّأي بسياق الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: 102]. فلو كانت رؤيا إبراهيم عليه السّلام وحياً صريحاً وتكليفاً من الله تعالى له بذبح ولده، فلمَ راجعَ ولدهَ في هذه الحادثة، وقال له: ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ بل كان الواجب عليه أن يعمل على تنفيذ ذلك الأمر، من غير أن يراجع ولده فيه. [4]

التحقيق في المسألة:

وبعد التمحيص والتدقيق في القولين يتبين صحة القول الأول وبُعدُ القول الثاني عن الصّواب، فرؤيا إبراهيم عليه السّلام تكليفٌ من الله بذبح ولده، وليست مجرد إشارة، ورؤيا الأنبياء وحي كما ثبت ذلك في السّنة المطهرة، وهكذا فهم السلف الآية الكريمة، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجّة على من بعدهم.[5] وبقول السلف قال جمهور العلماء من المفسّرين، ولا يُعلم لهم مخالف إلا ما كان من سيد قطب رحمه الله تعالى.

---

(1) . ينظر: العتر، علوم القرآن الكريم، (ص: 17).

(2) . البخاري، صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ رقم الحديث: (3).

(3) . الحربي، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (312).

(4) . ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 2994).

(5) . الحربي، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، (271).

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني الله لكتابة هذا البحث، وأسأله تعالى أن يكتب له القبول، وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد كتابته:

أولاً: النتائج

توصلت بعد كتابة البحث إلى النتائج الآتية:

1. إنّ الشّيخ عبد الحميد طهماز رحمه الله تعالى من علماء التفسير البارزين في العصر الحديث، ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في تفسيره المسمّى: التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم.
2. برزت شخصية الشّيخ عبد الحميد طهماز العلميّة في تفسيره، وذلك في تعقباته على سيد قطب ومناقشة هذه الأقوال.

ثانياً: التّوصيات

توصلت بعد كتابة البحث إلى التوصيات الآتية:

1. دراسة تفسير الشّيخ طهماز رحمه الله دراسةً علميّة دقيقةً، فهو بحق موسوعة علميّة، وذلك لما يتميز به هذا التّفسير من فوائد ودقائق علميّة.
2. الاهتمام بدراسة تعقبات الشيخ طهماز على سيد قطب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.
3. ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك، تفسير ابن فورك، جامعة أم القرى، ط1.

4. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2.
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد(ماجه) القزويني، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، ط1.
6. ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3.
7. أبو السعود، محمّد بن محمّد بن مصطفى العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي.
8. الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، روح البيان، دار الفكر.
9. الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1.
10. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1
11. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، ط1.
12. الدميري، محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، ط2.
13. السيد، أحمد بن عمر السيد، تعقبات الإمام ابن كثير على من سبقه من المفسّرين.
14. الطبري، محمد بن جرير الطّبري، البيان في تأويل القرآن، ط1.
15. طهماز، عبد الحميد طهماز، التّفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، دار الفكر، ط2.
16. طهماز، عبد الحميد طهماز، العلامة المجاهد الشيخ محمّد الحامد، دار القلم، ط4.

17.القزويني، أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.
18.قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط17.
19.مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.
20.النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط2.
21.النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن. ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، ط1.